

المبحث الخامس

المرأة عند العرب

« قبل الإسلام »

لم يكن العرب بعبيدين عنم يجاورهم من الشعوب والأمم التي تحدثنا عنها ، فلقد اعتاد العرب رحلة الشتاء والصيف (١) .

بل ان هاتين الرحلتين كانتا بمثابة الالتقاء الفكرى والثقافى والاقتصادى والحضارى المتبادل بين العرب ومن جاورهم من أهل الشمال وأهل الجنوب .

فالعرب يذهبون فى الصيف الى أهل الشمال ، أهل الشمال أولئك كان منهم اليهود والنصارى وغيرهم ممن كان فى بلاد العراق القديم

وهكذا ،

ولقد حدثنا أبو سفيان بن حرب بما جرى بينه وبين هرقل عظيم

(١) ولقد حدثنا القرآن الكريم عن رحلة الشتاء والصيف فيما

جاء من قول الله تعالى :

« لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » الآيةان ١ ، ٢

من سورة قريش .

يقول ابن كثير : ٠٠٠ وقيل المراد بذلك ما كانوا يالفونه من

الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فى المتاجر وغير ذلك .

يراجع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٥٤ .

(٩ - المرأة)

الروم حين أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى هرقل كتابا يدعوه فيه ومن معه الى الاسلام (١) .

هن هذا كله نخلص الى أن العرب في الجزيرة العربية لم يكونوا بمنأى عن جيرانهم

ومن هنا انتقلت اليهم عادات كثيرة وسلوكيات وخصال جيرانهم ولقد وقفنا على جانب مما كان عند أولئك من معاملاتهم للمرأة التي كانت تزرع تحت نير تسلط الرجل ، الذي كان همه الأول اشباع رغبته منها وتقديمها لغيره ليعبوا منها ما يتخمن نهمهم ويطمس رغبتهم

وهذا الذي وقف العرب عليه من شأن المرأة عند جيرانهم كان من بين الدوافع والأسباب التي شكلت سلوكهم الذي عابه القرآن الكريم عليهم ونهاهم عنه وحرمه .

لقد رأى العرب - قبل الاسلام - في المرأة جوانب عدة ، ومن هنا تشكل سلوك كل منهم طبقا لما رآه وما غلبه وتسلط على رأيه ففرق كثير منهم في نظرته الى المرأة والرجل ، طبقا لما رآه ، وطبيعة حياته المهددة دائما بالاغارة والمنازلة .

فالمرأة مخلوق ضعيف (٢) لا يقدر على النزال ، ورد المغيرين ، كما

(١) يراجع صحيح البخارى كتاب الايمان .

(٢) وهذه النظرة كانت عند من جاور العرب أيضا فقد حدثنا

القرآن الكريم عما كان من شأن أم السيدة مريم عليهما السلام ، حين نذرت حملها لله ، لخدمة الدين وبيت المقدس . فلما ولدت وكانت المولودة أنثى رأت فيها أنها لا تقدر على القيام بخدمة البيت والدين ، لكونها أنثى .

أنها — فيما رأى واعتقد — قد تكون عامل ائصال وقت الحروب والكر والفر،
زيادة عما قد تجره عليه من أمور تسحقه كرجل له كرامة وعرض وهم
وقتنئذ يعيشون عيشة تكاد أن تكون خالية من الفكر الهادئ الا في القليل
الفادر .

وقوم هذه حياتهم ومعيشتهم لابد وأنهم يحبون البنين (١)
ويحرصون على الولد ويزهدون في البنت ، يقربون الزوجة التي يكثر
أولادها ويعلو قدرها ، ولكنهم تحدثوا عن المتجبات من العرب (٢) ، أما
الأخرى التي يكثر انجابها للبنات فكان لها شأن آخر .

وقوم يحرصون على العرض وصيانته ، ويرون في ذهابه أو المساس
به ذهاب شيء ، وضياح غال ، فلا يحرص على شيء بعد العرض . .

« اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل
منى انك أنت السميع العليم . . فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها
أنثى ، والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، وانى سميتها
مريم وانى اعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ،

الآيتان ٣٥ ، ٣٦ من سورة آل عمران .

(١) تقول د/ عائشة عبد الرحمن عند حديثها عما سبق بسنده :
نميل الى القول بأن ظروف الحياة فى الأزمنة القديمة أثرتهم بالحرص
على كثرة الولد ، والزهد فى الاناث ، فمسا هن بحيث يمنعن الحمى ،
ويحمين الذمار ، ولا فيهن غنية حين يهدد وجود القبيلة ، وهى بعد هدف
العدو اذا غار ، يقصدن بالسبى الذى يورث القبيلة ذل العمر ،
وعار الأبد .

تراجم سيدات بيت النبوة — رضى الله عنهن — ص ٤٤٥ ط دار
الكتاب العربى بيروت سنة ١٩٨٤ م .

(٢) والمنجبة عند العرب : من ولدت ثلاثة بنين فاكثر ، وكان لهم
شأن فى قومهم . يراجع المحبر لابن حبيب ص ٤٥٥ ط بيروت ١٣٦١ م .

من هنا كلنت مقولة شاعرهم :

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا ببارك الله بعد العرض في المال

والمال في كل عصر عصب الحياة ... ووقتها كان المال أكثر من عصب الحياة ، بل هو الحياة نفسها ، فكلم من سيد حر غدا عندهم عبدا مسترقا لقلّة ماله وكثرة ديونه •

ان قريما لهم فكر من فكر من جاورهم ، يحرصون على العرض ، حرصهم على الحياة وأكثر ، وليس لهم ما يعصمهم من زيغ الفكر والجهالة لابد وأن يسلمهم ذلك الى ما تردوا فيه من معاملاتهم ونظرتهم للمرأة (١) •

(١) ومن هذا المنطلق كانت مقولة شاعرهم :

انى وان سيق الى المهر
ألف ، وعبدان ، وذود عشر
أحب أصهارى الى القبر

يراجع تراجم سيدات بيت النبوة للدكتورة عائشة عبد الرحمن •
ص ٤٤٦ ط بيروت •

كما يقول الأستاذ العقاد : فاذا هانت المرأة فهى عار يأنف منه أهلوه ، أو حطام يورث مع المال والماشية ، ومن خوف العار يدفن الرجل بنته فى طفولتها ، ويستكثر عليها النفقة التى لا يستكثرها على الجارية المملوكة ، والحيوان النسافع ، وكل قيمتها بين الذين يستحيونها ولا يقتلونها فى طفولتها ، انها حصة من الميراث تنقل من الآباء الى الإبناء ، وتباع وترهن فى قضاء المنافع ، وسداد الديون ، ولا يحميها هذا المصير الا أن تكون عزيزة قوم ، تعز بما يعز عندهم من ذمار وجوار .
يراجع المرأة فى القرآن الكريم ص ٥٣ - ط بيروت •

وكان العربي حين يزوج ابنته أو إحدى قريباته يحرص على أن يكون زوجها رجلا من أهله أو قبيلته أو عشيرته ، وعند انتقالها الى بيت زوجها يقول لها أبوها أو من يقوم مقامه مقالة يوصيها فيها بالحرص على بيتها وعرضها ، ويدعو لها وقد عرف من أدعيتهم في مثل هذا قولهم للمرأة : « أيسرت وأذكرت ، ولا أنثت ، جعل الله منك عددا ، وعزا ، وجادا » (١) •

ان حبهم للولد أمر دعتهم اليه طبيعة حياتهم ، وانتقل اليهم من جيرانهم ومن الأمم التي سبقتهم ، تلكم الأمم التي عاملت المرأة وكأنها مخلوق من جنس غير جنس الرجال •

وقد مر بنا جانب من نظرة أولئك الى المرأة ومعاملاتهم اياها ، وتبادلها كأنها سلعة واهدائها وكأنها دمية ، واقتراسها بل والفتك بها •

والعرب قبل الاسلام وان انتقل اليهم ذلك الذي كان عليه غيرهم من معاملة المرأة بحكم الجوار والتعامل ، فان هناك أمورا أيضا حدثت لبعضهم دفعته الى الانتقام من نسائه بل ومن بناته وقريباته • يقتلن والتتكيل بهن • انتقاما لعرضه وثأرا لشرفه ، مندفعا بما عليه العربي من حرصه على العرض والشرف ، وعدم المساس بالفراس ، فهو صاحب تراث وورثة عن آباءه وأجداده أولئك الذين يصونون أعراضهم ويحمون أهلهم ومنزلهم •

فقد قيل ان لقمان بن عاد ، وهو من العرب البائدة قد تعرض لكل ذلك الأمر الذي تأنفه العرب ، ولا ترضاه الرجال ، إذ قد خانته بعض نسائه ، وقت انشغاله بما يشغل الرجال وقتها ، من الحروب والنوازل

(١) المحبر لابن حبيب ص ٣١٠ •

فعر عليه أن تعرض النسوة عرضه لمثل ذلك الذي وقع منهن ، فما كان منه الا أن أعمل سيفه فيهن ، حتى أتى عليهن جميعا ولم يبق واحدة منهن انتقاما لعرضه واستشفاءا لصدره واندمالا لجرحه ثم خرج بعد أن فعل بهن ذلك وسيفه يقطر دما فقابلته ابنته فدفعه ما مر به واشتعل في صدره الى اعمال سيفه فيها وقتلها ، نهى امرأة وقد ألهب قلبه ورجولته ما فعلته به نساؤه في غيبته وإنشغاله بما ينشغل به الرجال •

وتكلم نعمان بن عباد بذلك العمل أول من وأد ابنته على ما روته الأخبار وقريب من الذي دعى لقمان بن عاد الى ذلك ما حدث لزعيم تميم وسيدها قيس بن عاصم •

فقد روت كتب الأخبار أن النعمان بن المنذر قد أغار على تميم نظرا لأنها كانت تدفع له الاتاوات ثم منعتها •

نزل النعمان بن المنذر ديار تميم وأعمل فيها السيف والسبى •

وذهب سيد تميم « قيس بن عاصم » يسترد السبايا من النعمان وكانت الفاجعة له والقاصمة ظهره أن احدى بنساته آثرت البقاء مع النعمان — وهو الذي أغار على أهلها وأعمل السيف في قومها — ومع هذا آثرت البقاء معه على الرجوع مع أبيها •••••

لو أن ذلك حدث لعربي في أيامنا هذه لطار عقله ، وشاط غضبه ، وكم حدثتنا الصحف بحوادث قتل امرأة وزوجها لأنها تزوجته رغما عن أهلها •••

فما كان من قيس بن عاصم ، سيد تميم الا أن جن جنونه ، واستل سيفه وأغمده في قلب بناته ، يغسل غيظا به مما لحقه ، ويثأر لنفسه وقد ردت ابنته على غير ما كان يريد وطار خبر ذلك بين الآفاق وهو عربي

يعيش بين الناس لا يقيم ظهره سوى طاعة قومه له ، وحماية حريمه ،
وصيانة عرضه •

انه رجل غدا جريحا ، جرحه لا يندمل اذ هو جرح في قلبه بطعنة
من ابنته وجهتها الى سويدائه حين آثرت البقاء مع عدوه وقاتل أهله ،
ومريق دم عشيرته •••••

هذا بالاضافة الى أن ذلك كله وقع في قوم أطلق المؤرخون على
عصرهم عصر الجاهلية ، وهى جاهلية عابها القرآن الكريم في كثير من
المواضع (١) •

ولقد حدث قيس بن عاصم مشيرا الى جانب مما أدى به الى ارتكاب
فعلته تلك وكشف عن الدافع وراءها يوم سأله أبو بكر الصديق — رضى
الله تعالى عنه — عن سببها • فقد أورد ابن حجر في ترجمته لقيس بن
عاصم أن أبا بكر سأله : ما حملك على أن وأدت — وكان أول من وأد —
فقال : خشيت أن يخلف عليهن غير كفاء (٢) •

(١) الآيات ١٥٤ آل عمران ، ٥٠ المائدة ، ٣٣ الاحزاب ، ٢٦ الفتح

(٢) كما أخرج ابن حجر أن النعمان بن بشير الانصارى قال :

سمعت عمر بن الخطاب — رضى الله تعالى عنه — يقول : وسئل عن الآية

« واذا الموءودة سئلت » فقال : جاء قيس بن عاصم الى رسول الله -

صلى الله عليه وسلم — فقال : انى وأدت ثمانى بنات لى فى الجاهلية •

فقال : « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » •

يراجع الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ج ٢ ص ٢٥٨ ط

القاهرة سنة ١٩٠٧ •

ويراجع تفسير الطبرى للآية ٨ من سورة التكويز : آية الموءودة •

وهو وان كان دافعا غير مقبول بمقاييس الاسلام والعصر ، الا
أن أولئك الجاهليين كانوا بمنأى بعيد عن هذه المقاييس ...

وكان من أولئك من يرى أن في وأده بناته الرفق بهن والخوف عليهن
والشفقة من أن يلاقين من الأيام فاقة ، ومن الحياة قسوة ومن الاغارة
ذلا ومن الأعداء لدنسا وامتهانا ، وتلك شيمة عصرهم ...

يشهد بذلك ما جاء في شعر بعضهم يفصح فيه أنه بين أمرين أحلاهما
أمر من الآخر ، فهو يخشى على ابنته أمر الأيام ، وجفوة الأهل (١) ،
وضياع العرض .

ثم هو يخشى على نفسه حين يقتلها ما يعايشه من مرارة النكل ،
وشدة الحزن ، فألم المصيبة شاق ، خصوصا اذا كان من تنزل به هو
القاتل والمقتول ، لكنه مع ذلك يتجرع كأس الألم طمعا في أن تواسيه
الأيام ، ويخفف عنه أنه سيهوت وليس وراءه من يخاف عليه غائلة الأيام
وثقل الأغلال .

(١) ولذا نجد الاسلام قد أكد على صلة الرحم وجعل في وصلها
النجاة والثواب بل ان من يصلها يصل الله تعالى ومن يقطعها يقطع
علاقته بالله تعالى ... وفي الحديث الشريف عن رب العزة : « ... من
وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ... »

وجاء القرآن الكريم يوصي بالارحام في آياته في مواضع كثيرة
منها قول الله تعالى : « واتقوا الله الذي تسمئون به والارحام ... »
الآية الاولى من سورة النساء .

« وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ... » من الآية
٧٥ من الانفال ومن الآية ٦ من الاحزاب .

« فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ،
الآية ٢٢ من سورة محمد « صلى الله عليه وسلم »

انه غريق تتقاذفه الأمواج يحمل على كتفيه بناته وأهله ، فهو وان
حرص على الحياة فان حرصه ينطلق من حبه لهم وتمنيه انقاذهم •

كما أنه يرى فيهم حملا ثقيلًا يدفعه الى الأعماق ، ويثقل حركته ،
ويضيع منه فرص النجاة ... كل ذلك وهو في بحر مظلم هائج الموج
تعصف به الرياح ، ويذهب البرق ببصره وبصيرته ، ولا منقذ له من
عقيدة أو أمل ...

فآلهتهم يعرفون أنها لا تقدر على دفع الشر عن نفسها ، انهم وان
عبدوها الا أنهم في أعماقهم موقنون أنها أحجار لا تتفجع في ضيق ولا
تتقذ من شدة ... أنهم تعساء ينسجون أثواب تعاستهم بأيديهم ، أشقياء
يصنعون أعواد مشاقمهم بأنفسهم ...

يقول شاعرهم :

وزادنى رغبة في العيش معرفتى
ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ
وكنت أبكى عليها من أذى الكلم
تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا
والموت أكرم نزال على الحرم
إذا تذكرت بنتى حين تتدبنى
فاضت لعبرة بنتى عبرتى بدم

هذه همومه ، وتلك أحاسيسه ، وصراعه النفسى •

ثم هو بعد أن وقع به الشك ، وعانى مرارة الجزن والفقْد يصور
حاله ، كأنه تخلص من حمل ثقيل ناء به كاهله ، ومال به شقه ..

فغدأ وكأنه قد خفت أوزاره ، وارتاح من أحماله .. وقرت جفوته

فالآن نمت فلا هم يؤرقنى بعد الهدوء ولا وجد ولا حلم

الى هذا الحد كان يرى بعضهم المرأة ، ويتعامل معها وقد يهون الأمر لو كانت هذه أى امرأة على اطلاقها ، بل هى أقرب النساء اليه انها ابنته ، وفاذة كبده ، ومؤنسة حياته ، وبأكية نعشه ، ومنجبة أحفاده ، الذين قد يناخر بهم أقرانه وأيامه ، ويرى فيهم امتداد حياته ، وتحقيق

طموحاته ...

لقد عرفت الانسانية هذه المعاملة للمرأة عبر العصور وفي كل البقاع وكانت ترى ذلك أمرا هينا ، على حد زعمهم ...

يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ... ولقد أيقظهم القرآن من شقوتهم ، وأزال العشاوة عن بصائرهم ... بل وحذرهم وأذرهم ... بين لأولئك الذين يخافون الفاقة ، ويخشون الاملاق ، أن الله تعالى رازقهم ، هم ومن يعولون ...

والعرب قبل الاسلام لم تعدم كريما ، ولم تبخل عليها السماء بصاحب قاب رحيم ، يحنو على هذه المسكينة ، التي تطاردتها الأفكار الشيطانية وتعددها الأيدي وهى ترتجف ، خوفا وطمعا .

من دؤلاء حدثنا التاريخ عن صعصعة بن ناجية ، وعن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى (١) .

(١) زيد بن عمرو بن نفيل هذا هو والد الصحابي الجليل سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل الذى ورث الفضل عن أبيه ، والذى صدق فيه حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى تحدث فيه عن العرب .. وذكر فيه ان « ... خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام .. »

فقد كان لهم الباع الطويل واليد الندية التي أنقذت الكثيرات من أن ينفن أحياء خوف الفقر والفاقة ، وخشية الاملاق والحاجة ...

يحدثنا المؤرخون أن صعصعة بن ناجية مر يوماً بامرأة، تبكى في تشنج ، وتنحب في ذعر ، وهى تمسك بوليدة صغيرة رضية في أيامها الأولى ، ففزع صعصعة لذلك ، واقترب من المرأة الباكية يسألها عما بها قد ألم ، فأشارت الى رجل يحفر حفرة وقالت : هذا زوجى يحفر حفرة ليئد فيها ابنتى التى ولدتها له ، وتوجه صعصعة الى ذلك الرجل الذى يحفر بهمة وجد وكأنه يسابق نفسه ...

قال له صعصعة : ما حملك على هذا ؟ .. قال : الفقر . قال له : ألا تأخذ ما تشاء وتتركها ... فقبل الرجل فأعطاه وأجزل له العطاء .. وافتدى الوليدة والوالدة ... وكانت هذه سيرته بين العرب .. يهب ماله ليفتدى به الضعيفات اللائى يستقن الى الواد أحياء ...

ولقد تباهى الفرزدق بجاده صعصعة ومنعه الوائدات فقال :

وجدى الذى منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يواد

والصحابى الجليل سعيد بن زيد بن عمر أحد العشرة الذين
رضى الله عنهم ورضوعنه ...

يراجع الاستيعاب فى معرفة الاصحاب لابن عمر بن عبد البر -
رضى الله تعالى عنه - ج ٢ ص ٨١٧ ط نهضة مصر ١٩٤٧ م .

نسب قريش للمصعب الزبيرى ص ٣٤٧ ط أولى .

وذلك عند الحديث عن نسب الخليفة الثانى عمر بن الخطاب بن
نفييل رضى الله تعالى عنه - فهى شجرة ممتدة منمرة بالخير ندية بالعطاء .

وقال في جده أيضا :

أجار بنات الوائدين ومن يجر على الفقر يعلم أنه غير مخفر (١)

وقد حدث التاريخ أيضا عما كان من زيد بن عمرو بن نفيل القرشي في هذا المجال ، فقد وهب الكثير الكثير من ماله لأولئك الذين هموا أن يعدوا بناتهم خوف الفقر والحاجة . . . بل أنه كان يتعهد بالوليدة وتربيتها حتى تكبر . . . ثم يأخذها الى أبيها ويحدثه في شأنها . . . ويعرض عليه اعادةها اليه ومعها ما يكتفيه مؤنتها . . . أو يبقها في رعايته وبره . . . (٢)

وهكذا كان شأن المرأة وليدة ووالدة عند البعض من الجاهليين الذين دأبوا على وأدها حية ، ودفنها في التراب وكأنه يستر عارا لحق به ، ويستأصل داء ألم بقومه وعشيرته .

واقدم صور لنا القرآن الكريم ما كان عليه أولئك في قول الله تعالى :
« وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » (٣) .

(١) تراجع السيرة النبوية لابن هشام ج ١ هامش ص ٢٤٠ ط الحلبي سنة ١٩٣٦ م .

(٢) المرجع السابق ويراجع ماجاء في تراجع سيدات بيت النبوة للاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ٤٤٨ وما بعدها ط دار الكتاب العربي بيروت .

(٣) الآيتان ٥٩ ، ٥٩ من سورة النحل .
ويقول ابن كثير في تفسيره هاتين الآيتين « ظل وجهه مسودا وهو كظيم » أي كئيبا من الهم ، ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن ، يكره أن يراء الناس . وهو ان ابقى المولودة ، أبقساها مهانة ، لا يورثها ، ولا يعتنى بها ، ويفضل أولاده الذكور عليها .
« أم يدسه في التراب » أي يندسها ، وهو أن يدفنها حية .
يراجع تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٤ ط دار الفكر بيروت ١٩٨٩ م .

ويحدثنا المفسرون عن الكيفية التي كانت ، والطريقة التي اتبعت في الجاهلية لواد البنات وقتل المولودات فيذكرون أنها كانت تتم بصورة الآتية : « يخرج الرجل وليدته وقد حفر لها بئرا في الصحراء ، فييدسها هناك ، ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر » .

وقيل : « كانت الحامل اذا أوشت على الموضع حفرت حفرة ونقلت قريبا منها عندما يجيئها المخاض ، فاذا ولدت بنتا رموا بها في الحفرة ، وان ولعت ذكرا أمسكوا وعادوا به » (١) .

هذا هو حال الكثيرات من الاناث ابان عهد الجاهلية ، أما الواد ودفنها حية ... واما الابقاء على مضض وخزي وهوان ، خشية العار ، والفقر ...

وهذه الحال وان كانت غير عامة الا أنها كانت موجودة ولا يمكن انكارها (٢) ، اذ قد سجلها القرآن الكريم ، وعنف أولئك الذين يأتونها ووقف في وجههم ، وسد عليهم منافذ الواد ، وقضى على أسبابه .

(١) يراجع الكشف للزمخشري ج ٤ ص ١٨٨ عند تفسيره للآية ٨ من سورة التكوير .

(٢) ولقد حاولت الاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن تقلل مما كان من واد عند العرب ، وكم حاولت أن تبين مدى ما كانت تنعم به المرأة عندهم من مكانة عالية وقدر واحترام ، ولكنها وفي نهاية المطاف سجلته وبقلما ما كان عليه الحال . . . فقالت : ومن المحزن حقا ، أننا اذا استطعنا أن نجزم بأن الواد لم يكن شائعا ولا واسع النطاق - وهذا لا يهون من بشاعته - فلسنا بحيث نملك أن ننقيه عن أسلافنا العرب . ولا نحن بقادرين على الارتياح في أمره وقد تواترت به الانباء ، وسبحه

فلم تعد هناك موعودة بل عدت مولودة مكرمة ، ريحانة معطرة علمهم ذلك رسول الانسانية سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — يوم بشر بمواد فاطمة الزهراء قال : « ريحانة أئمتها ورزقها على الله » ان أولئك الموعودات غدون بنات الاسلام يرعاهن ويعتني بشؤونهن ، ويرحم بهن آباءهن ، ويدخل بهن الجنة أولياء أمورهن ، يجرى الرزق لهن وبهن ، وصدق الله العظيم الذي أخبر بذلك اخبارا صادقا لا يخطر تخلفا ولا يخالطه أدنى شك .

لقد خاطب القرآن العرب يوم نزل ، نهاهم ، وبشرهم ، نهاهم عن ارتكاب حماقات الوأد ، وبشرهم بالرزق والخير والسعد ، فقال تعالى :

« قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » (١) .

عليهم القرآن ... ثم تعرج بالحديث عن مكانة الانثى في المجتمع العربي قبل الاسلام ، فتحاول أن تعلى من شأنها ، وان ترفع من منزلتها عند العرب ، غيرانها لاتجد مقرا من الاعتراف بما كانت عليه حقيقة الامر فتقول : لانملك بعد هذا كله الا أن نعترف بأن منزلة البنات كانت دون منزلة البنين ...

تراجع تراجم سيدات بيت النبوة ص ٤٥٢ وما بعدها .
(٤) الآية ١٥١ من سورة الانعام ، يقول ابن كثير : وذلك انهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك فكانوا يندون البنات خشية انعار ، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار ... « من املاق » قال ابن عباس وغيره هو الفقر ، أى لاقتتلوهم من فقر حاصل . ولنا بدأ هنا برزق الآباء ، المخاطبين ، أما في الاسراء فالفقر لم

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم
كان خطأ كبيرا » (٥) •

« قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرهوا ما رزقهم
الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين » (٦) •
هذا ما كان عليه حال المرأة وما عاملها به الجاهليون ومن قبلهم
أما وقد جاء الاسلام فقد أصبح للمرأة شأن آخر •

يقع وانما هم يخافونه بسبب الابناء ومن هنا قال تعالى : « نحن
نرزقهم واياكم ... »

يراجع تفسير ابن كبير ج ٢ ص ١٨٩ ويراجع البرهان في متشابه
القرآن للكرمانى تحقيق المؤلف وذلك عند الحديث عن التشابه الموجود
في هاتين الآيتين ، ويراجع قطوف من رياض القرآن للمؤلف عند الحديث
عن بلاغة التشابه ...

(٥) الآية ٣١ من سورة الاسراء ويقول المفسرون هذه الآية دالة
على أن الله تعالى أرحم من الوالد بولده ... وكان أهل الجاهلية لا يورثون
البنات ، بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لثلاثا تكثر علتها ... المراجع
السابقة •

(٦) الآية ١٤٠ من سورة الانعام •